١٩٩٦

حكايـات بطوليـة للأطفـال (٢٠)

السجين الفنان

تأليف

روضة الفرخ الهدهد

رسوم

ليس كلبونة

شكر وتقدير ...

أتقدم بالشكر والتقدير لكل من قرأ مخطوطة القصة وعلّق عليها. وأخص بالشكر الإخوة والأخوات الذين شاركوا في اللقاء الذي عقد لمناقشة القصة في رابطة الكتّاب الأردنيين، وجمع عدداً من كتّاب الأطفال، وأمينات مكتبات جمعية أصدقاء الأطفال، وطلاب وطالبات من مدارس مختلفة. كما أخص بالشكر المسؤولين والطلاب في مكتبة الأطفال في مؤسسة عبدالحميد شومان، والمعلمات والطلاب في المدرسة الأكاديمية التربوية الحديثة التابعة لجمعية خليل الرحمن، الذين ناقشوا المخطوطة. كما أشكر الأستاذ الشاعر عبد العزيز أبوغوش من مدرسة المنهل العالمية الذي دقق النص...

روضة

طبع وإخراج

مطبعة عبود

تلفون ٧٧٥٤١٠ / ٧٤١٦٠٦ - فاكس ٧٧٠٠٠٩

ص.ب ٤١٠٢٥٥ عمان ١١١٤١ الأردن

إهـــداء

- إلى "**زهدي العدوي**" أصغر وأول سجين فلسطيني في سجون العدو، وقد حكم عليه بالسجن خمسة وعشرين سنة لانضمامه إلى الأشبال. والذي أصبح فناناً رغم سني سجنه الطويلة.
- إلى المناضل الكاتب " **فاضل يونس**" الذي قرأت له كتبه من داخل الزنازين في سجون العدو ومنها "زنزانة رقم ٧" فأثرت بي لصدقها وروعتها.
- إلى "**أحمد الهدهد**" سجين العائلة في نابلس وقد سجن بعد عام ١٩٦٧ وفقد نظره على أيدي جلادي الاحتلال.
- إلى زميلتي على مقاعد الدراسة " **عائشة عودة**" التي كانت أولى سجينات الاحتلال ممن أعرف بعد عام ١٩٦٧. وأولى من تحررن من سجونه في عملية تبادل الأسرى.
- إلى أرواح **راسم حلاوة وعبد القادر أبو الفحم وعلي الجعفري** وآخرين لم أحفظ أسماءهم وقد استشهدوا أثناء الأضراب المفتوح عن الطعام، الذي أعلنه السجناء بدءاً من سجن "**جنيد**"، لنيل حقوقهم.
- إلى الكاتب "**نبيل الجندي**" الذي كتب كتاب "صراع الإرادات" عن سجن أنصار (١) في جنوب لبنان. وإرادة المقاومة الباسلة التي عاشها سجناء هذا السجن العتيد.
- إلى سجن "**نفحة الصحراوي**" الذي وخز ضمير كل حيٍ في هذا العالم، وكان ولا يزال وصمة عار في جبين مدعي واحة الديمقراطية والعدالة.
- إلى سجن "**جنيد**" في نابلس، وقد كانت أخباره تقلق بالي كلما استمعت إلى معاناة أبنائه وهو المبنى الذي كان مستشفى قبل الاحتلال الإسرائيلي لنابلس.
- إلى أرواح المئات من الذين استشهدوا من قبل ومن بعد على أيدي الجلادين الإسرائيليين في سجون العدو.
- ثم إلى دموع كل أم وزوجة وابنة، شاهدت وسمعت وأحست بتعذيب ابنها أو زوجها أو أبيها على أيدي رجال الظلم والإرهاب.
- إلى نابلس في يوم تحررها وخروج الجنود الإسرائيليين من أرضها.

علَّ الله يكتبُ لبلادِنا كلِّها .. من النهرِ إلى البحرِ .. النصر والتحرر..

روضة الفرخ الهدهد

الفصل الأول

وَقفَ زهدي في بابِ غرفـةِ الانتظارِ ينتظرُ زيارةَ أمِّـه .. هذه أوّلُ مرة سيراها منذُ أشهرٍ، فكيفَ سيكونُ اللقاءُ يا ترى؟ هل ستحتضِنُـهُ وتغمرُهُ بقبلاتِها ؟.. هل ستضمُّهُ إلى صدرِها وتربّتُ على رأسِه وكتفيه؟.. هل ستجلسُ إلى قربِـه وتعتصرُهُ؟ ودقّ قلبُ زهدي كثيراً. لعل قلبَهُ يريدُ أن يفلتَ من صدرِه ليسارعَ إلى رؤيةِ والدته، آه لو أراها الآن.. أرتمي على صدرِها، أغمرُ وجهَهَا بقبلاتي، أبكي على صدرِها وأعانقُها.. أقولُ لها إنني مشتاقٌ لها.. مشتاقٌ لوجهِهَا ويديها.. مشتاقٌ لحبِّها وحنانِها..

هناكَ في غرفةِ الانتظارِ كانَ عشراتُ المساجينِ غيرَ زهدي ينتظرونَ رؤيةَ أهلِهم .. منذُ أسبوعٍ ابتدأ السجناءُ يستعدُّون لهذه الزيارةِ.. كلهُّم ينتظرُ يومَ الزيارةِ ليرى أحداً من أهلِه .. إلاّ أنَّ زهدي لم يكن مثلَهم أبداً.. إنَّهُ أصغرُهم سناً، وهي المرةُ الأولى التي يبتعدُ فيها عن أمِّه، وهي المرةُ الأولى التي سيراها بعدَ غيابِ عدةِ شهورٍ..

وتعالى صوتُ السَّجانِ الإسرائيلي في البابِ، ينادي على مجموعةٍ من السجناءِ للدخولِ إلى غرفةِ الزيارةِ. نادى السَّجانُ على فاضل ومحمود وأحمد وحسين وخالد.. فوقفوا ينتظرون.. فَنَهرَهم السَّجانُ كي يتحركوا نحوَ البابِ، نظروا إلى زهدي نظرةَ مواساةٍ، ثم انطلقوا إلى الغرفةِ الأخرى.. غابوا فيها عشرَ دقائق حَسِبَها زهدي عشرَ سنين.. وعاد السجناءُ بينما وقَفَ السَّجانُ ينادي على أسماءِ المجموعةِ الثانيةِ : راسم، الياس، حسين، عبدالله، نمر، علي.. ولم يكنْ اسمُ زهدي بين الأسماءِ أيضاً. فنظر الجميعُ إلى بعضِهم وإلى زهدي، ومَسَحَ فاضلُ بيدِه على رأسِ زهدي، بينما شجَّعهُ

راسم بنظرةٍ من عينيهِ.. وقالوا له : تشجَّع يا زهدي.. ستكونُ أمُّكَ بالبابِ الآن.. انتظرْ، سيأتي دورُكَ، وستراها..

كان رفاقُ زهدي في السجنِ يعاملونَهُ معاملةً خاصةً.. ذلك لأنَّهُ كانَ أصغرَهم سناً: في الثانيةِ عشرةَ منَ العمرِ؛ كانوا يحبّونَهُ ويشفقونَ عليه، بل ويحترمونَهُ..

الفصل الثاني

عندما اعتُقِلَ زهدي، قبلَ عدَّةِ أشهرٍ، ظلَّ وحيداً لا يرى أحداً إلاّ المحققَ ومساعدَهُ. كانَ المحققُ ضابطاً إسرائيلياً يتحدَّثُ بلكنةٍ غريبةٍ، ويجلسُ وراءَ الطاولةِ يسألُ الأسئلةَ.. وكانَ مساعدُهُ رجلاً إسرائيلياً آخرَ لا يعرفُ إلاّ الضَّربَ.

كانَ الأوّلُ يسألُ والثاني يضربُ.. منذُ أقبلتِ السيّارةُ العسكريَّةُ إلى منزلِ زهدي في تلكَ الليلةِ البعيدةِ، ومنذُ أخذوهُ من منزلِه في الليلِ، وهو نائمٌ إلى جوارِ أخوتِه.. ومنذُ أن دخلوا بهِ إلى تلك الغرفةِ، لم يتوقّفْ ضربُ زهدي؛ باليدِ والعصا واللَّكماتِ والأحذيةِ والأرجلِ.. ظلَّ زهدي وحيداً لا يرى غيرَ هذين الرجلين، ولا يعرفُ هل الدنيا نهارٌ أم ليلٌ .. لقد ظنَّ أن الدنيا قد انتهتْ، وأنَّ الناسَ كلهُم قد ماتوا.. ظنَّ أنَّه لم يبقَ في العالمِ جيرانٌ أو أهلٌ، وكانَ يتمنّى أن يموتَ هوَ الآخر.. فهذا الرَّجلُ لا يعرفُ إلاّ السبَّ والضَّرْبَ .. سبَّ أباه وأمَّه وإخوتَه. سبَّ العَرَبَ والمسلمين والمسيحيين.. ضَرَبَهُ على رأسِهِ ورجليهِ ويديهِ.. ضَرَبَهُ بقبضتِهِ في صدرِهِ وبطنِهِ.. سألهُ الأوّلُ الأسئلةَ نفسَها ألفَ مرةٍ، وضربَهُ الآخرُ ألفَ ألفِ مرةٍ أخرى.. أينَ أبوكَ..؟ متى مات..؟ كيف صعدت الجبال..؟ أينَ يجتمعُ الأصدقاءُ في الجبال؟ ماذا يخبّئون؟ من هم الأشبالُ وماذا يفعلون؟.. أسئلةٌ لا تنتهي وضربٌ لا ينتهي.. وعندما تخورُ قواهُ ويضعفُ ولا يعودُ

يقوى على الوقوفِ أو الكلامِ، كانوا يعيدونَهُ إلى الغرفةِ المظلمة.. فيحسُ أن الدنيا فعلاً قد انتهت، وأنَّ الناسَ كلَّهُم قد ماتوا؛ فيتمنَّى أنْ يموتَ هو الآخرُ..

أيامٌ لا يعرفُ زهدي عدَّها قضاها بينَ غرفةِ التحقيق؛ والغرفةِ المظلمة. فلمَا ألقوا به يوماً في غرفةٍ أخرى، وَوَجدَ فيها رجالاً آخرين، لمْ يعرفْ ما الأمرُ ولا ماذا سيفعلُ لهُ هؤلاء الرجالُ.. فانكمشَ إلى الحائط خائفاً منهم، مبتعداً عنهم يبكي ويشهَقُ بألمٍ وحزنٍ.. واقتربَ الرِّجالُ منهُ.. كانَ فاضل أولَ من اقتربَ منه يتحسَّسُ رأسَهُ وظهرَهُ.. عاينَ أماكنَ ضربِه، ووضعَ عليها منديلهُ المبلَّلَ بالماء.. وأحضرَ له راسم مخدَّةً ووضعَها تحتَ رأسه، ووضعَ لهُ بطَّانيةً تحت جسده وأخرى غطاهُ بها.. أشفقَ عليه الرِّجالُ وأحاطوهُ بالحب والأمانِ.. فشعرَ بالحنانِ والحزنِ الشَّديد.. تذكَّرَ أمَّهُ فبكى بشدةٍ أكثر من ذي قبل.. احتضنَهُ فاضل فبكى أكثر.. قال إنَّهُ يريدُ أمَّهُ.. وأنه مشتاقٌ إليها؛ فبكوا جميعاً معه. سألوهُ عن اسمه وعن أبيه وأهله.. ولكنَّهُ سألهم عن أمِّه وأخوته.. هل قتلهم اليهود؟ لماذا لم يسألوا عنه إذنْ؟ ألا تعرفُ أمُّهُ أينَ هو الآن؟ ألا تعرفُ أنَّ اليهودَ يضربونَهُ على رأسِه ويديه ورجليه وفي بطنِه، وفي كلِّ مكان؟ فلماذا لم تسألْ عليه..؟ احتضن فاضل زهدي وقال له بكلِّ حنان: نحن الآن سنكونُ أمَّكَ وأباكَ وكلَّ اخوتكَ، فاهدأ ولا تخَفْ. ونامَ زهدي بين يديه بهدوءٍ.. فلما استيقظ كانَ حالُهُ قد تحسَّنَ.

الفصل الثالث

في غرفةِ الانتظارِ لم يكنْ قد بقيَ إلاَ عددٌ قليلٌ مِنَ السجناءِ في انتظار أنْ يناديَ عليهم السَّجانُ للزيارةِ . وكانَ زهدي لا يزالُ بينَهم، وقد شحُبَ وجهُهُ، وانكمشَ في مقعدِهِ.. نادوا على أربعِ مجموعاتٍ منَ الرِّجالِ ولم يبقَ إلاّ القليلُ فهل يكونُ في آخرِ مجموعةٍ؟.. ليكن.. المهم أن يرى والدتَهُ. ولكنَّ السَّجانَ دخلَ يقولُ بصوتٍ عالٍ:. اذهبوا إلى غرفِكُم؛ لقدْ انتهتِ الزيارةُ اليومَ!!

ذُهِلَ زهدي وكادَ يرتمي على الأرضِ.. ألن يرى أمَّهُ اليوم؟ ألم يقولوا له أنها

جاءت وأنها ستراه؟. ألن يراها ليخبرَها ماذا جرى لهُ طيلةَ الأيامِ الماضيةِ؟ ألن يطمئنَّ عليها هو الآخر وعلى أخواتِه ورفاقِه؟.. كيفَ تنتهي الزيارةُ؟ كيفَ؟

بكى زهدي بحرقةٍ.. ونادى على أمِّهُ كثيراً، هجمَ على بابِ غرفةِ الزيارةِ يريدُ أن يقتحمَهُ، ولكنَّ السجّانين كانوا بانتظارِه .. ضربُوه باليدينِ واللّكماتِ.. طرحوهُ أرضاً ورفسوهُ.. فاحتضنَهُ أحدُ السجناءِ بجسدِهِ وحماهُ من أيدي وأرجل السجّانين وعادَ بهِ إلى الغرفةِ مُنهكاً .. فاقداً الوعيَ..

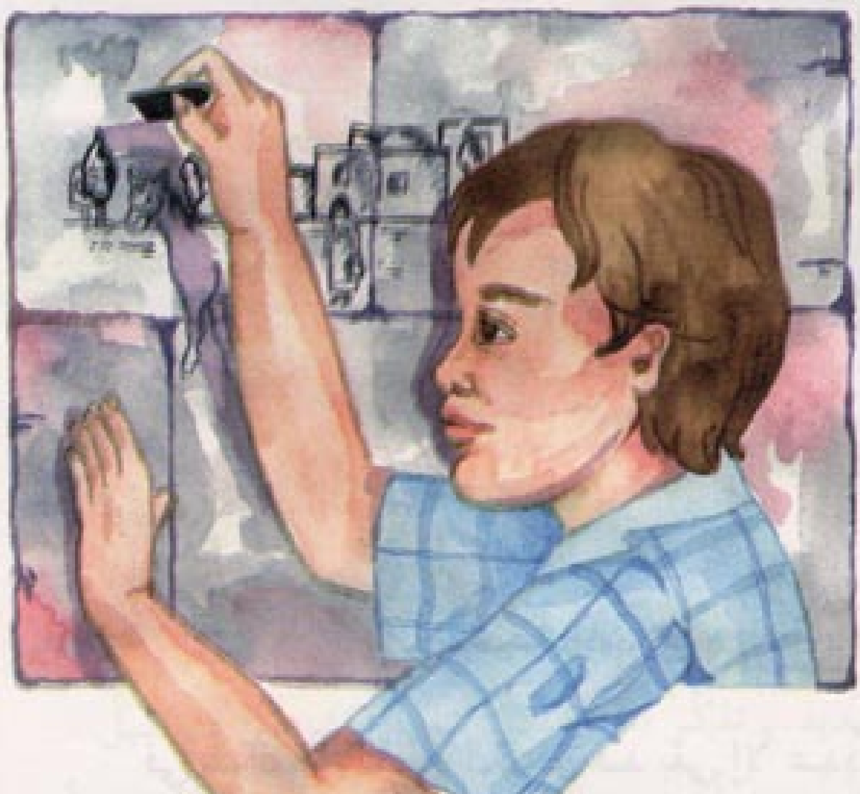

ساعاتٌ مرَّتْ؛ وزهدي حزينٌ يلتزمُ زاويةَ الغرفةِ، كانَ يحملُ قطعةً صغيرةً من حجارةِ الجدارِ ويحكُّها على الجدارِ ذاتِه.. تذكَّرَ دارَهُ، فرسَمَها .. اشتاقَ لحديقةِ بيتِه، فَرسمَها .. ثمَّ رسَمَ وجهَ أمِّهُ فَملأَ الدارَ والحديقةَ.. فلمّا أقبلَ فاضل ليقدِّمَ له العشاءَ؛ فوجيءَ بما رأى على الحائط، فأمسكَ زهدي وصاح .. تعالوا يا شباب.. تعالوا انظروا؛ لقد ولد بيننا فنان!!

غَمرتِ الفرحةُ نفوسَ السُّجناءِ، وأقبلوا يحتضنونَ زهدي ويهنئونَهُ.. وفرِحَ زهدي بنفسه، فهو لم يكنْ يتوقع أن يكونَ فناناً، لقد كان يتمنى أن يكون فدائياً ليحرِّرَ بلدَهُ، وليواصلَ طريقَ والدِهِ في النِّضالِ ضدَّ المحتلين اليهود، لكنَّهُ فوجيءَ بنفسِه يريدُ أن يسجِّلَ

كـلَّ منظرٍ شاهدَهُ قبلَ الدُّخولِ إلى السجنِ على الحائطِ..

انقضى شهرٌ وزهدي يرسمُ كلَّ يومٍ منظراً جديداً على جدرانِ غرفةِ السجنِ. أحضرَ من ساحةِ السجنِ حجراً أسودَ اللَّونِ وبدأ يرسُمُ بهِ على الجدارِ.. كانَ الشّبابُ يحترمونَ صمتَهُ وهو يرسم، فما أنْ يُنهي الرسمَ، حتى يقبلوا عليه يُكيلونَ له الثناءَ والمديحَ.. ولكنَّهُ فجأةً توقّفَ عنِ الرَّسمِ.. لقد بدأ السُّجناءُ يعُدّونَ الأيامَ القليلةَ الباقيةَ لزيارةِ أهلِهم.. حيثُ إنّ يومَ الجمعةِ القادمِ موعدُ الزيارةِ، فكيف ستكون الزيارةُ هذه المرةَ يا ترى؟

أحسَّ فاضل بمعاناةِ زهدي، فهو نفسُهُ - الرَّجلُ الكبيرُ - بدأت أحاسيسُهُ تتغيّرُ باقترابِ موعدِ الزيارةِ.. فكيفَ بالطفلِ الصغيرِ زهدي؟.. والسجناءُ الآخرين هدأتْ حركتُهم، وقلَّ كلامُهم.. لم يعودوا يكملونَ لعبةَ الشطرنج، أو طاولةِ الزهر.. فقدوا حماسَهُم للاستماعِ لقصصِ نضالِ الشُّعوبِ.. توقفُوا عن مناقشةِ الأمورِ السِّياسيّةِ والدينيّةِ .. أُصبحَ كلُّ فردٍ يناجي نفسَهُ ويفكّرُ بموعدِ زيارتهِ القادمةِ.. من سيرى من أهلهِ؟ ما أخبارُ إخوانه؟ ما أخبارُ جيرانه؟ ماذا سيلبسُ للزيارةِ؟.. قميصُهُ ممزّقٌ وحذاؤُهُ غيرُ نظيف، فقميصُ مَنْ سيأخُذُ، وحذاءُ من سيلبسُ، وشعرُهُ؛ كيفَ يحلقُهُ وكيفَ يمشطهُ.. كلُّ مَنْ في الغرفةِ يفكّرُ بموعدِ الزيارةِ، وفاضل يحسُّ بزهدي ويتألّمُ لحالهِ أكثرَ وأكثرَ..

حدّثوهُ عن غرفةِ الزيارةِ.. صوّروا له «الشّبَكَ» الذي يفصلُ بينَ الزائرينَ والسجناءِ.. قالوا لهُ إنّهُ لا يستطيعُ تقبيلَ أمّهِ أو ضمَّها إلى صدرِهِ، أو حتى السّلامَ عليها بيديه.. أخبروهُ أنّهُ قد لا يستطيعُ إخبارَها عن كلِّ ما جرى له أو يسمعُ منها كلَّ أخبارِ إخوتهِ وأخواتهِ وأصحابهِ وجيرانهِ،فعشرونَ سجيناً أو أكثر، سيكونون في نفسِ

وبحذرٍ شديدٍ أدخلَها في إحدى فتحاتِ الشَبَكِ، وأشارَ لوالدتهِ أن تأخذَها بحذرٍ، قالَ لها: لقد رسمتُ لكِ هذه اللوْحةَ هديةً بمناسبةِ زيارتكِ.. ولمْ تكدِ الأمُّ تفتحُ قطعةَ القماشِ، وترى ما عليها حتى أخذتْ تُزغردُ.. لقد أحسَّتْ هي الأخرى بموهبةِ ابنها، وقرأت توقيعَهُ على اللوْحةِ، وتذكَّرت تفوقَهُ في المدرسةِ وحصصِ الفنونِ، فلم تتمالك إلاّ أن تُزغردَ بأعلى صوتِها؛ ويا ليتها لم تُزغرِدِ!!

ثوانٍ، وكانَ الجنودُ قد تكالبوا على أمِّ زهدي من جهةٍ، وعلى زهدي منِ الجهةِ الأخرى.. ثوانٍ وكانت أمُّ زهدي قد طُردتْ من السِّجنِ، وزهدي وقد اقتيدَ إلى غرفةِ التعذيبِ مرةً أخرى.. المحقِّقُ ومساعدُهُ.. الأسئلةُ والضربُ.. السَّبُّ واللَّكماتُ.. العصا والحذاءُ.. على الوجهِ والبطنِ والقدمينِ واليدينِ: منْ أينَ أتيتَ بالقماشِ؟.. من

أعطاكَ القلم؟ عن ماذا نقلتَ الرسمةَ؟ كيف تخالفُ قوانينَ دولة إسرائيلَ؟..
وعندما أغمي على زهدي نقلوهُ إلى الغرفةِ المظلمةِ؛ فلمَّا أفاقَ؛ تحسَّسَ الجدرانَ، فلم يجدْ أحداً، فجلَسَ في الزاويةِ يُفكِّرُ..!

بعد يومٍ أو يومين، وعندما جاءَ السَّجانُ ليأخذَ زهدي إلى الغرفَةِ المضاءةِ مع رفاقه؛ قالَ في نفسِهِ «لقد انتهى عهدُ الطفولةِ.. وسنرى من هو الفائز!!» وعندما هجمَ عليهِ رفاقُهُ بفرحٍ لعودتِهِ من غرفةِ العزلِ، قابلهم بروحٍ مرحةٍ، وقبلَّهم واحداً واحداً.. وعندما وصلَ إلى فاضل قالَ: ما الأخبارُ يا صديق؟! هل بقيَ من قماشِ مخدَّتي قماش؟ أم آخذُ قماشَ مخدَّتكَ؟!

وضحكَ الرِّجالُ وسَهروا طولَ الليل يتحدثون..

في السَّجن ينضُجُ الرِّجالُ ويتعلمونَ الكثير.. في هذا السجنِ وحيثُ كان زهدي أصغرَ وأولَّ طفل، كَبُرَ الطفلُ كثيراً وتعلم كثيراً..

لقد اعتقلهُ الجنودُ الإسرائيليونَ لأنَّه كان يتدربُ في فريقِ الأشبالِ مع الفدائيين، وظنّوا أنهم بقتلِ واعتقالِ وتعذيبِ الفلسطينيين سيقضونَ على الثورة، ولكنَّ السِّجْنَ كان مدرسةً للنضالِ والحريَّة، وصخرةً للصُّمود والمقاومة، ومركزاً للانتفاضة والثَّورة.

الفصل الخامس

ظلَّ السجينانِ راسم ونبيل يتناوبانِ على إعطاء زهدي دروساً يوميّةً في العلومِ واللُّغةِ الإنجليزيةِ والرياضياتِ، وظلَّ السجينُ فاضل يُعطيهِ مع باقي السجناء دروساً في التاريخِ والسياسةِ وثوراتِ الشعوب.. وكانت أمتعُ الحصصِ التي يحبُّها زهدي وينتظرُها، حصصَ تجويدِ القرآنِ الكريمِ وتفسيرِه.. كان السجين «أحمد» هو الذي يُعطيه دروسَ تجويدِ القرآنِ الكريمِ؛ وزهدي لا يعرفُ أحمد إلاّ وهو «أعمى».. فقد كانَ يظنُّ أنه أعمى منذُ مولِدِه.. وكانَ غالباً ما يسائِلُ نفسَهُ: لماذا اعتقلَ اليهودُ هذا الرَّجلَ الأعمى؟.. وما الذي يمكنُ أن يكونَ قدْ فعلَهُ حتى يعتقلوه؟ إنه لا يتناولُ صحنَ أكلِه إلاّ إذا قرّبَهُ إليه رفاقُهُ وأعطوه إياهُ بيده.. ولا يتناولُ كأسَ الشّاي إلاّ إذا ناولَهُ إيّاهُ أحد.. وكانت عصاهُ هيَ التي تساعِدُهُ في النزهةِ الصباحيةِ «الفورة»، يَتَحسَّسُ بها الطريقَ، وتدلُّهُ على العقباتِ فيها. فما الذي فعلَهُ ليسُجَنَ في هذا السجن؟ ولم يجرؤ زهدي يوماً على سؤاله هذا السؤال.. فقد كان صوتُهُ وهو يقرأُ القرآن، أو يؤمُّ السجناءَ بالصلاةِ يُنسي سامِعَهُ أنَّ به إعاقةً ما فلماذا يُحرِجُهُ بالسُّؤالِ عن عجزِه؟.

في تلك الليلة لم ينمْ زهدي أبداً.. لقد حدَّثَهُ أحمد عن سببِ اعتقالِه.. كان الوقتُ متأخراً وهما يتحدَّثانِ في أمورٍ عديدةٍ.. فلمّا ذكرَ زهدي والدَهُ وكيفَ استشهدَ على أيدي اليهود؛ قالَ له أحمد إنه كانَ يعرِفُهُ، بل كانَ يعملُ معَهُ.. كان الإثنانِ يعملانِ في صناعةِ الحلوياتِ: الكنافة النابلسية والهريسة والنَّمُّورة.. ثم يقومُ أحمد بجرِّ عربةِ الحلويات بعد ـ خبزها ـ ليبيعَها في السُّوقِ.. وسألَهُ زهدي فجأةً: وكيفَ كنتَ تجرُّ العربةَ وأنت...؟ ولم يجرؤ على قولِ الكلمةِ. فقال أحمد: أتقصدُ وأنا أعمى؟.. لا يا بني، أنا لم أكن أعمى.. لقد كنتُ بصيراً..

ودقَّ قلبُ زهدي بعنفٍ .. وقالَ: ولكنكَ الآن..

قالَ أحمد: نعم.. قلْها.. إنني الآن أعمى.. لقد فقدتُ بَصري بعد اعتقالي في سجونِ هذا العدوِّ!!

ولم يتمالكْ زهدي دموعَهُ.. كيف؟ كيفَ يفقدُ المرءُ بصرَهُ في السجنِ؟..

قالَ أحمد:

ـ عندما احتلَّت إسرائيل مدينةَ نابلس لم أستطعْ أن أقفَ مكتوفَ الأيدي.. حولتُ الفرنَ الذي كان لخبزِ الحلويات، إلى مكانٍ لصناعةِ المتفجرات والأسلحة.. وكنتُ أوزِّعُ المتفجرات للفدائيين للقيامِ بعملياتِهم ضدَّ الاحتلال الإسرائيلي.. أنت تعرفُ يا بنيَّ أنَّ واجبَ الدِّفاعِ عن أرضِ الوطنِ فرضٌ على كلِّ فردٍ.. فهل كنتَ ستظنُّ أننا، أبناءَ جبلِ النارِ، سنتركُ مدينتَنا لقمةً سائغةً في فَمِ العدوِّ؟ في الفرنِ وفي منتصفِ مدينةِ نابلس، حفرتُ مع الرِّفاقِ غرفةً سريةً تحتَ الأرضِ، وكنا نَخزِنُ فيها المتفجِّراتِ، بل ونصنعُها.. وكلَّ يومٍ كنتُ أجرُّ عَرَبَةَ الحلويات، وعليها صواني الحلوى، بينما كانت الحلوى غطاءً فقط لِما تحتَها.. وفي يومٍ منَ الأيامِ، كانَ الشبابُ يستعدُّون لهجومٍ كبيرٍ على قواتِ العدو. كانوا منتشرين على سطوحِ المنازلِ المجاورةِ، وفجأةً أقبلتْ سيَّاراتُ العدوِّ بالعشرات، تحملُ المئاتِ من الجنودِ الإسرائيليين .. ولم يكنْ بالإمكانِ مقابلتُها داخلَ المدينةِ ووسطَ البيوت، فهذا يعني مقتلَ العشراتِ من أهلنا.. واقتربوا منَ الفرن، أحسستُ أنَّهم سيدخلونَهُ، وسيكتشفون المخزن، فاحترت!! أأتركهم يدخلونَ الفرنَ وأهرُبُ بنفسي؟ وكيف أهرُبُ والشبابُ على الأسطحِ؟ إن هربتُ أمسكوا بهم. وبسرعةٍ فكرتُ بالأمرِ.. إن قبضوا على العربةِ والأسلحةِ وعلي؛ فسينسون أمرَ الفرنِ وأمرَ الرِّفاقِ.. سيظنُّونَ أنَّ هذا كلُّ ما في الأمر، وسأنقذُ بذلك الجميع.. ودفعتُ العربةَ أمامي

ومشيتُ وسَطَهم .. قالوا : قف.. فوقفت.. فتشوا العربةَ فوجدوا فيها البضاعةَ.. فماذا تتصورُ أنهم فعلوا بي؟.. أخذوني حالاً إلى المعتقلِ وهات يا ضرب ويا تعذيب.. أيامٌ وهم يستجوبونني عن السِّلاح: من أينَ أخذتُهُ؟ ولمن كنتُ سأعطيه؟.. كانوا يريدونَ معرفةَ أسماءِ كلٍّ من أتعاملُ معهم. ولكن هل كنتَ تظنُّني سأعطيهم إسماً واحداً؟.. لا .. وألفُ لا.. واستمرَّ تعذيبُهم، واستمرَّ إصراري على السكوت. ثلاثة وثلاثين يوماً كاملاً لم أفتحْ فمي بكلمةٍ. «عملت نفسي أخرس» يَضربون، يُعذِّبون، وأنا لا أتكلم.. يسألونَ عن اسمِ أبي أو أمي أو إخوتي ولا أجيب.. لم أتكلمْ مع أحدٍ إطلاقاً. حاولوا خداعي باحضارِ أمي لزيارتي، ولكنني لم أكلّمْها.. جاءوا بأبي، بإخوتي ولم أتكلَّمْ.. كلُّ الأساليبِ استعملوها فلم أتكلم.. حتى أنا نسيتُ صوتي.. تصورتُ في ليلةٍ أنني أصبحتُ فعلاً أصم.. وكنتُ أريدُ أن أسمعَ صوتي لأتأكَّدَ من أنني لا زلتُ أتكلم ، ولكنني صمدتُ.. وتدخَّلَ أهلي لدى جمعيةِ الهلالِ الأحمر والصليبِ الأحمرِ الدولي، ولدى جمعيةِ الدِّفاعِ عن الأسرى فوكلوا لي محامي، ولما أحسَّ السَّجانون بانتصاري عليهم، زادوا من تَعذيبي، فأطفأوا سجائرهم في عيوني.. وتَركوني بلا حراكٍ؛ أياماً معدوداتٍ.. وبعدها أخذوني للمحاكمةِ؛ فتكلمتُ عن جرائمِهمْ وعن تعذيبِهمْ فحكَمَ عليَّ القاضي بالسِّجنِ مدى الحياةِ..

في تلكَ الليلةَ لم ينمْ زهدي أبداً. ظلَّتْ صورُ حكايةِ السجينِ أحمد تدورُ في رأسه وأمام عينيه. صورُ النِّضالِ والبطولة، وصورُ الإجرامِ والنذالة.. كانَ يُحسُّ بالفخرِ والاعتزازِ بأحمد، ولكنَّهُ كانَ يُحسُّ بالحزنِ العميقِ له.. فكيفَ سيقضي باقي عمرِهِ هنا في السِّجن وهو أعمى وضعيف؟.

لكنَّ أحمد لم يكن يوماً حزيناً على نفسِهِ.. كان يبثُّ الشجاعةَ والأملَ في نفوسِ

كلَّ السجناءِ.. كانَ يسمعهُ يردِّدُ: لقد خلقَ اللّهُ الكثيرَ من النَّاسِ وهم عميان أو خرساً أو مقعدين عنِ الحركةِ، وطلبَ منا اللّهُ ورسولُهُ أن نُجاهِدَ في سبيلِ ديننا ووطننا. ألم تسمعوا قصصَ عمار بن ياسر وبلال الحبشي وأسامة ابن منقذ وصلاح الدين الأيوبي؟ وهل تتحرَّرُ الأوطانُ إلاّ بالفداءِ؟..

وأحبَّ زهدي أحمد.. وأقبلَ على دروسه وحكاياته.. ولكنَّ المشاكلَ أخذَتْ تتصاعدُ بشكلٍ جديدٍ في السِّجنِ..

الفصل السادس

في كلِّ يومٍ وفي موعدِ النزهةِ اليوميةِ التي يخرُجُ فيها السجناءُ إلى ساحة السجنِ، «الفورة»، كان السجانونَ يختصرونَ بضعَ دقائقَ قبلَ الخروجِ، وبضعَ دقائقَ قَبْلَ الدخولِ.. ولمّا كانتِ النزهَةُ اليوميةُ هي ثلاثونَ دقيقةً: أي نصفَ ساعةٍ فقط، في كلِّ أربعةٍ وعشرينَ ساعةَ سجنٍ، فإنَّ اختصار خمس دقائقٍ يعني الكثيرَ الكثيرَ للسجناءِ.. فهل

سيسكُتُ السجناءُ عن «حقِّهم» في رؤيةِ الشمسِ نصفَ ساعةٍ في اليومِ؟..

وفي كلِّ يومٍ كانَ السُّجناءُ يعانونَ من نقصِ الموادِّ الغذائيَّةِ الضروريَّةِ في وجباتِ الطعامِ.. طعامٌ سيءٌ، وكمياتٌ قليلةٌ تقدَّمُ لهم.. فهل سيسكُتُ السجناءُ عن «حقِّهم» في طعامٍ مناسبٍ يقدَّمُ لهم؟..

وفي كلِّ سجونِ الدنيا يُسمحُ للمساجينِ بقراءةِ الكتبِ؛ ويعطونَهم الأقلامَ والدفاترَ للكتابةِ.. إلاَّ هنا في السجُّونِ الإسرائيليةِ.. فالكتبُ قليلةٌ أو معدومةٌ.. والأقلامُ والأوراقُ نادرةٌ.. لقد حُكِمَ على كلِّ واحدٍ منْ هؤلاءِ المساجينِ عشرينَ سنةٍ، أو ثلاثينَ، أو مدى الحياةِ، في السِّجنِ.. فهل يبقونَ هكذا دون قراءةٍ وكتابةٍ؟..

في كلِّ يومٍ تتفنَّنُ عقولُ السَّجانينَ لأكلِ حقوقِ السُّجناءِ.. تلك الحقوقِ التي وضعَها العالَمُ للسُّجناءِ أينما كانوا ، وقامت هيئاتٌ: وأهمُّها جمعيةُ الهلالِ الأحمرِ والصَّليبِ الأحمر الدولي لمتابعةِ تطبيقِها في السُّجونِ. والسُّجناءُ إذا كانوا فُرادى لا يستطيعونَ التأثيرَ عليهم، ومحاولةَ أخذِ حقوقِهم العادلة منهم.

قالَ فاضل: ماذا نفعلُ يا إخوان.. لا بدَّ من إسماعِ صوتِنا للعالمِ؛ فلا يمكنُ أن نموتَ ببطءٍ هنا.

قالَ راسم: نخبرُ أهلَنا في زيارتهِم القادمةِ، فيقابِلونَ الكتَّابَ والصحفيين، وينشرونَ أخبارَنا في كلِّ وسائلِ الإعلامِ..

قال أحمد: نطلُبُ مقابلةَ ممثلينَ عنْ جمعيةِ الهلالِ الأحمرِ وجمعيةِ الصليبِ الأحمرِ؛ وننقلُ لهم كلَّ مشاكلِنا اليوميةِ..

قال الياس: نرفُضُ الطَّعامَ المقدَّمَ لنا، ولا نأكلُ، ونصبرُ على الجوعِ، حتى يسمعَ

العالمُ كلُّهُ بقضيَّتنا.

قالَ سعيد : نكتبُ طلباتِنا في قائمةٍ، ونسلِّمها لجمعيةِ الدِّفاعِ عن الأسرى، علَّها توصلُها إلى وسائلِ الإعلامِ المختلفةِ، وإلى المسئولين عن هذه السجون ليحسِّنوا معاملتهم معنا.

قال فاضل: نقومُ بكلِّ ما ذكرتم معاً.. فيجب أن تكونَ حركتُنا قويةً وشاملةً..

كانَ زهدي يستمعُ لحديثِ السُّجناءِ «الكبار» وهو مستغربٌ مما يسمع.. هل يمكنُ لسجينٍ لا يرى الشمسَ، ولا يملكُ أي قوةٍ، أن يتحدَّى هذا العدو؟.. وإذا كانت كميةُ الأكلِ قليلةً وتزعجُنا، فكيفَ نمتنعُ عنِ الطعامِ نهائياً؟.. وإذا كان بيدِهم موعدُ الزِّيارةِ أو حجبها، فكيفَ نوصلُ صوتَنا لزائرينا ؟.. وإذا كانَ بيدِهم الدواءُ والعلاجُ فيمنعونَهُ عن مرضانا، فكيفَ نطلبُ منهم مساعدتَنا؟ هل هذا الكلامُ معقولٌ؟..

ولكنَّ الرِّجالَ «الكبار» كانوا يخطِّطون لأمرٍ كبيرٍ لم يفهمْهُ زهدي، ولم يتصوَّرْهُ.. لقد أرسلوا للغرفِ الأخرى بعزمهم على القيامِ بإضرابٍ شاملٍ عن الطَّعامِ حتى تتحققَ مطالبُهم.. وأرسلوا على أوراقٍ صغيرةٍ مطالبَهم وخطتَّهم للعملِ.. وامتنعوا عن مقابلةِ زائريهم حتى تُستجابَ مطالبُهم.. ووقفَ صفٌّ طويلٌ من الزوّارِ في خارجِ السِّجنِ يؤيدونَ مطالبَ أبنائهم العادلةَ.

وكتبتِ الصُّحفُ والمجلاتُ وأذاعتِ الإذاعاتُ ومحطاتُ التلفزةِ أخبارَ المضربينَ عن الطَّعامِ.. وجاءَ رجالُ جمعيةِ الهلالِ الأحمرِ والصليبِ الأحمرِ إلى السجنِ لمقابلةِ السجناءِ.. وسَمِعَ الرِّجالُ في السجونِ الأخرى في فلسطين بهذا الإضرابِ، فأعلنوا تأييدَهم لهُ، بل وقاموا بإضرابٍ مماثلٍ في سجونهم.. واهتزَّ العالمُ كلُّهُ بهذهِ الأخبارِ، وعمَّتِ المظاهراتُ والاعتصاماتُ مدنَ وقرى فلسطين.. فكلُّ بيتٍ في فلسطينَ لهُ ابنٌ أو

أكثرُ في سجونِ العدوِّ.. وكلُّ أمٍّ تخاف على أبنائها وعلى صحتِهم، وأمُّ زهدي كانت كباقي الأمهات، بل أكثرهنَّ خوفاً على ابنها الصغيرِ. فهؤلاءِ المسئولين عن السجونِ قد لا يتنازَلونَ عن هيبتِهم وقدرتِهم أمامَ هؤلاءِ المساجين: صغاراً أو كباراً..

ومرَّتِ الأيامُ صعبةً ومؤلمةً وبطيئةً.. وقالَ السُّجناءُ قولَتهم الشهيرةَ:

نجوع ولا نركعُ.. نموتُ في سبيلِ حقِّ إخوتنا وأبنائنا ولا نركَعُ..

وفكَّرَ زهدي: كيفَ يموتُ المرءُ في سبيلِ حقِّ إخوتِهِ وأبنائِهِ؟..

الفصل السابع

قالَ راسم لزهدي وهو يُعطيه الدرسَ: لَنْ تصومَ أنتَ معنا يا زهدي، ولن تشارِكَ في الإضرابِ.. بل كلُّ الأطفال: أي الشبابُ الذي تقلُّ أعمارُهم عن الخمسة عشر عاماً لن يشارِكوا في الإضرابِ.. الأكلُ مهمٌّ لنموكُم.. ونحنُ لا نريدُ خلقَ أجيالٍ معَوقةٍ أو ضعيفةٍ من أبنائنا..

قال زهدي:

ـ وأنتم، ألاَ يؤثِّرُ الإضرابُ والامتناعُ عن الطَّعامِ على حياتِكم وصحَّتِكُم؟..

ـ نحنُ نتحمَّلُ، وسنصبرُ. لنْ يكونَ الوضعُ سهلاً أو مريحاً، ولكنَّها إحدى معارِكِنا مع العدوِّ. قد تكونُ المعاركُ في الجبالِ أو السهولِ أو في المدنِ ولكنها قد تكونُ هنا أيضاً.. فالصراعُ مع العدوِّ مستمرٌ، إرادتُنا أمامَ إرادتِهم.. مقاومتُنا أمامَ إرهابِهم.. نضالٌ في كلِّ الساحات.. بالقلم، بالفكرِ، بالسياسةِ، بالاقتصادِ، بالعلم؛ المهم أن لا نضعفَ.

كانَ راسم من المناضلين الأشداءِ.. بل إنَّ معظمَ السجناءِ كانوا مثلَهُ.. شبابٌ في

عمرِ الورودِ ما بينَ العشرين والثلاثين من العمرِ.. وقليلٌ منهم أكبرُ من ذلك .. وقد صمَّموا على الإضرابِ حتى ينالوا طلباتِهم وحقوقَهم كسجناءِ سياسيين يدافعونَ عن أرضِهم.. ولكن العدوُّ كان شديداً أيضاً، ولا يريدُ أن يتنازلَ أمامَ هؤلاءِ السجناءِ.. فمن الذي سينتصرُ؟..

قالَ راسم :

ـ سمعت أنهم يأخذونَ بعضَ السُّجناءِ إلى المستشفى، لوضعِ أنابيب التغذيةِ في أنوفِهم ..تصوروا .. يريدون أن يرغمونا على الأكلِ حتى لو كانَ عن طريقِ الأنفِ.. والله لو حاولوا ذلك معي، فلن أسكتَ ولن أرضى .. سأقاومُهم مهما كلَّفَ الأمر..

ولم يكدْ راسم ينهي جملتَهُ، حتى دخلَ ثلاثةٌ من السجَّانين، أمسكوا به من يديهِ ورجليه وحملوهُ خارجَ الغرفةِ.. ووجدَ راسمُ نفسَهُ في المستشفى مع عشراتٍ من رفاقِه.. واتفَّقَ الرِّجالُ على المقاومةِ.. أمسكَ به السجَّانون، وبدأتِ الممرِّضةُ تضعُ الأنبوبَ في أنفه.. قاومَ.. حركَ رأسَه إلى اليمينِ وإلى الشمالِ.. إلى أسفل وإلى أعلى.. أدارَ جَسَدَه، رفسَ بقدميه، فانحرفَ الأنبوبُ ودخلَ في رئتيه.. ودخلَ الماءُ والملحُ إلى الرئتين بدلَ المعدةِ .. فكانَ الالتهابُ.. ثم كان الموت!!.

انفجرَ السجناءُ غاضبين، وهرعَ رجالُ الهلالِ الأحمرِ والصليبِ الأحمر الدولي يهدِّدونَ، ويرسلونَ رسائلَهم إلى كلِّ بقاعِ الدنيا: «إسرائيل دولةٌ تعذِّبُ سجناءَها وتقتلهم» وأحرجَتْ إسرائيل أمامَ العالم، فهي تحاولُ أن تبدو في نظرِهم واحةَ الديمقراطيةِ والعدالة؛ فكيف تقتلُ سجناءَها الذين وضعَ العالمُ قوانينهُ لحمايتِهم؟..

وسمعَ زهدي بموتِ أستاذِه راسم، ورفيقيه وليد وعبد القادر؛ فخبطَ الأرضَ بقدميه، وضربَ الحائطَ بيديه، بكى أستاذَهُ راسم كثيراً، وامتنعَ عن الطَّعام وانكفأ إلى

زاويته، معلناً أنه لن يتحدَّثَ مع أحدٍ حتى لو جاءت والدتُهُ لزيارتِهِ.

وأمامَ موتِ السجناءِ الثلاثةِ.. وأمامَ إصرارِ سبعةِ آلافِ سجينٍ في كلِّ السجونِ الأخرى على الإضراب حتى نيلِ حقوقِهم ومطالبِهم؛ قامت إدارة السُّجون بالإعلانِ عن موافقتِها على مطالبِ السجناءِ وتحسينِ الخدماتِ المقدَّمةِ إليهم..

قالَ فاضل لزهدي:

ـ أرأيت؟ بل سيأتي يومٌ يا زهدي، نفرَحُ فيه سوياً أنا وأنت ومئات الأسرى لتحرُّرِنا، وستشهدُ بإذن الله إقفالَ هذه السجونِ وإلى الأبد.

تحسَّنَ الأكلُ .. وعادتِ النزهَةُ الصباحيَّةُ إلى نصفِ ساعةٍ، سُمِحَ بإدخالِ الكتبِ والأوراقِ والأقلامِ.. حتى الأقلامِ الملونةِ دخلت إلى السِّجنِ.. وانكبَّ زهدي على لوحاتِهِ يرسُمُها ويبدعُها،، رَسَمَ الأغلالَ والأصفادَ.. رسمَ الطيورَ في الأقفاص.. رَسَمَ الأحصنةَ تجوبُ السهولَ والوديان.. رسَمَ الأمهاتِ يحضنَّ أطفالهنَّ.. رسمَ الطلبةَ في المدارسِ.. وتمنى أنْ لا يتحولَ يوماً مستشفى إلى سجنٍ، بل أن تتحولَ كلُّ السجونِ إلى مستشفياتٍ ومدارس..

الفصل الثامن

عشرونَ سنةٍ مرّتْ والأحوالُ تزدادُ سوءاً.. زادَ عددُ الأسرى العربِ أضعافاً مضاعفةً.. وازدادَ عددُ الأطفالِ المعتقلينَ بالمئات.. اعتقلتِ الفتياتُ والأمهاتُ.. بنى العدوُ سجوناً جديدةً.. سجون أنصار وسجن نفحة الصحراوي.. وزوِّدت السجونُ في عسقلان والرملة والفارعة وأبو كبير بالتقنياتِ الحديثةِ للاستجوابِ والتعذيبِ.. كلُّ

الطُّرقِ الشيطانيةِ ابتدَعها العقلُ الإسرائيلي لإسكاتِ هذا الشعب.. ولم يسكت.. وقامتِ الانتفاضةُ فجعلتِ الأرضَ والحجرَ والشجرَ يثورُ ضدَّ هذا المحتل.. وازدادتِ المعاركُ في كلِّ مكان..

قالَ زهدي: لا أمنياتكُ ولا أحلامي تحققت يا فاضل.. وسنبقى طولَ العمرِ بينَ هذهِ الجدرانِ الحجريةِ..

قال فاضل :

ـ وهل تظنُّ أنَّ عدوَّنا مرتاحٌ لهذا الوضع؟؟ هل تعتقدُ أن السّجانَ أكثرُ راحةً منَ السجين؟.. إن الضحيّةَ مهما كانت أضعفُ من القاتلِ، إلاّ أنها أقوى منه بالحقِّ.. والظالمُ لن يرتاحَ مهما عذّبَ المظلوم.. وسنرى بإذن الله الإحتلال وهو يرحل عن أرضِنا وبيوتنا وحتى سجوننا...

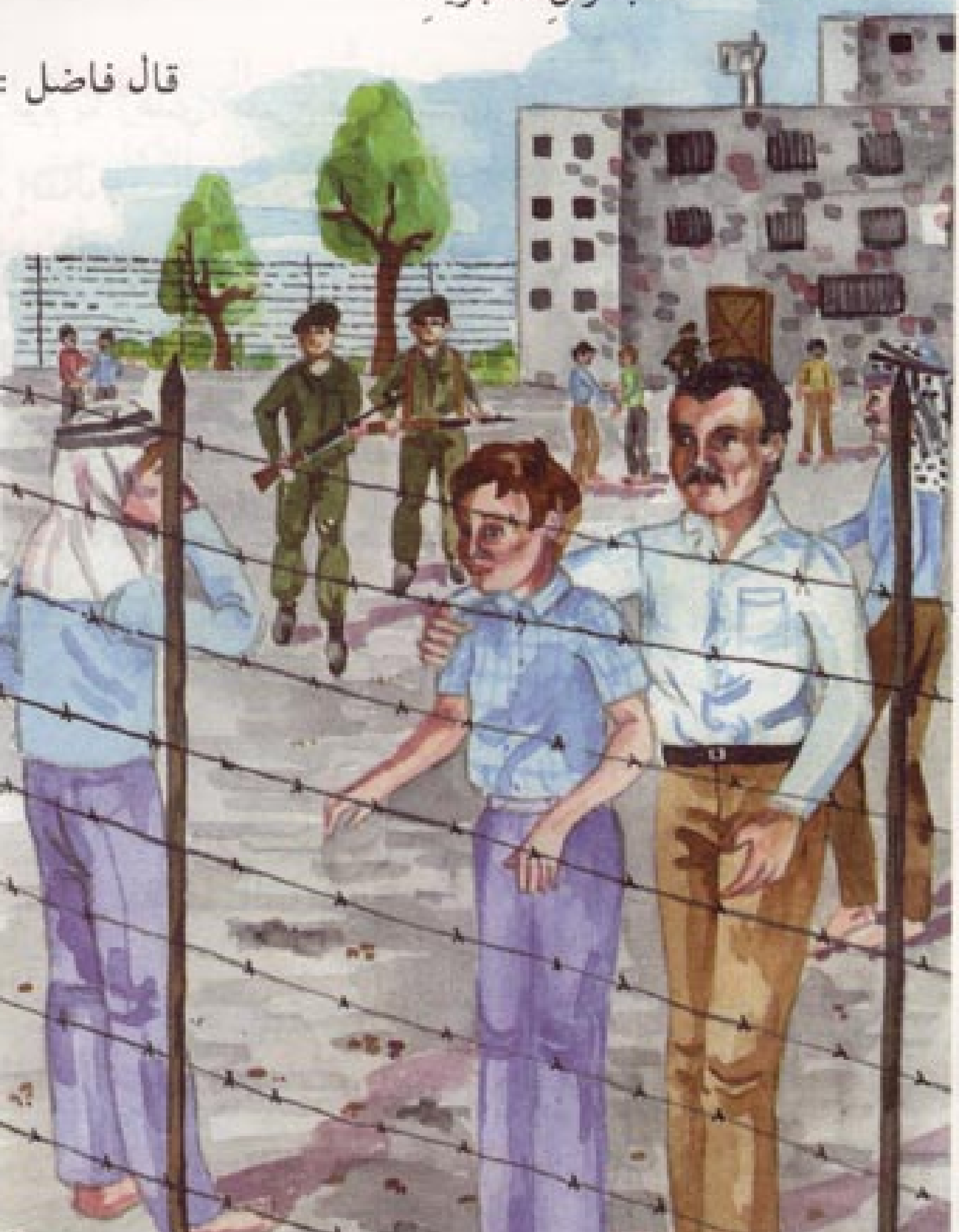

الفصل التاسع

لم يكن ذلك الصَّباحُ كبقيةِ الأيام، فلقد سرتْ الهَمَساتُ وتعالَتِ الأصواتُ أكثرَ فأكثر.. علا صوتٌ من الغرفةِ الأخرى في السِّجنِ ينادي على فاضل:

ـ حضِّرْ حالك يا فاضل.. سنتحرر.. هل سمعت؟..

وأقبَلَ السَّجانُ يُسكِتُ الصوتَ ويمنَعُ الحديثَ بين الغرفِ.. نظرَ فاضل إلى زملائه يستطلِعُ الأمرَ في عيونِهم. وأدارَ أحمد مؤشّرَ المذياعِ، علَّهُ يفهمُ ما أرادَ صاحبهُ قولَهُ.. قال فاضل:

ـ في موعدِ «الفورة» لن أذهبَ معكم إلى السَّاحةِ، سأدخُلُ إلى الغرفةِ الأخرى، علّني أعرفُ السرَّ الذي قالهُ زميلُنا..

خَرَجَ الجميعُ إلى السَّاحةِ إلاّ فاضل.. اختبأ خَلْفَ البابِ، ولمّا ابتعدَ السَّجانُ، انطلقَ إلى الغرفةِ الأخرى يستطلعُ الأمرَ.. وعندما عادَ رفاقُهُ قال لهم:

ـ يقولون إن الفدائيين في جنوبِ لبنان اعتقلوا ثمانيةَ جنودٍ إسرائيليين.

سأل زهدي:

ـ وماذا يعني ذلك؟

أجابَ فاضل:

ـ يعني أنَّهم سيفاوِضون حكومةَ العدوِّ للإفراجِ عنهم مقابلَ ثمنٍ كبيرٍ..

ـ وما هو الثمنُ يا ترى..؟

ـ لن يكونَ أقلَّ من الآلاف من السجناء..

ونظرَ الجميعُ إلى بعضِهم البعض، وأدارَ أحمد مؤشّرَ المذياع، فسمعوا الخبرَ اليقينَ من الإذاعة.

الفصل العاشر

مرّتِ الأيّامُ والأسابيعُ ثقيلةً .. هل يبقى الجنودُ الإسرائيليون المعتقلونَ في أماكنِهم السّريّةِ؟ هل ينجحُ الفدائيون حقاً في إخفائِهم والتفاوُض عليهم؟.. وكم سجيناً سيفرَجُ عنه مقابلَ كلِّ جندي؟.. كم سجيناً من هذا السجنِ سيفرَجُ عنه.. وماذا عن سجونِ نفحة وأنصار وعسقلان والفارعة؟ ومن سيختارُ الأسماءَ يا ترى؟..

قالَ زهدي في نفسه : ألا أكونُ أحدَ المحَرَّرين وأنا أصغرُ السُّجناءِ سناً؟.. بل ألا يكونُ أحمد من المحَرَّرين وقد قُضيَ على شبابِه وعيونِه في السجن؟.. وفاضل هل سيطلقونَ سراحَهُ؟..والسبعةُ آلافِ سجينٍ في سجونِ العدوِّ كلها ألا يتوقعون هم الآخرين أن يُطلقَ سراحُهم؟..

كلُّ يومٍ كانت تزدادُ مخاوفُ السُّجناءِ.. فقد تعثرُ إسرائيلُ على جنودِها الثمانية الذين أسَرَهُم الفدائيون في جنوبِ لبنان. وتضيعُ فرصةُ مبادلتِهم بالسجناءِ العربِ إلى الأبد.. فمتى يأتي الفرَجُ من عندِ الله..؟

- لقد جاءَ الفرجُ وأعدّتِ القوائمُ اليومَ أيها الأخوة .. ألفٌ ومائتي سجينٍ من هذه السجونِ هنا.. وخمسةُ آلاف سجين من سجن أنصار واحد في جنوب لبنان.. سيغلَقُ سجنُ أنصار واحد إلى الأبدِ؛ وسيعودُ الخمسةُ آلاف سجين لبناني وفلسطيني إلى بيوتِهم وأهلِهم.. أما هنا فسيعود ستمائة سجين إلى بيوتِهم في فلسطين، وسيبعَدُ

الستمائة الآخرون إلى خارجِ الوطنِ.. فإسرائيل ترفضُ أن يبقوا في وطنِهم لأنهم حملوا السِّلاحَ ضدَّها!!..

الفصل الحادي عشر

طائرةٌ خاصةٌ حملت السجناءَ من مطارِ اللّد إلي سويسرا.. طائرةٌ خاصةٌ حملتِ الرجالَ والشبابَ والفتياتِ من المحرَّرين، وحطَّتْ في أرضِ البلدِ الأوروبي المحايد: «سويسرا» في الطائرةِ شاهدَ زهدي الفتيات المحررات عائشةَ وعبلة ورسمية وفاطمة.. كان يسمَعُ عن اعتقالِهنَّ وصمودِهنَّ في سجونِ العدوِّ.. ولكنَّهُ اليومَ رآهنَّ في قمَّةِ

الكبرياءِ والعزّةِ الكرامةِ.. ومن سويسرا جاءتِ الطائراتُ العربيةُ لتحملَ أبناءَها وبناتِها إلى الأرضِ العربيةِ في سورية والأردن والكويت ولبنان حيثُ الأقارب..

باقاتُ الورودِ، وأهازيجُ الحريةِ، ودموعُ الفرحِ والحبِّ، ملأتِ المطاراتِ العربيةَ بتحرُّرِ السُّجناءِ.. وجاءتِ الأمهاتُ والأخواتُ والزوجاتُ لتلتقيَ السجناءَ، وتزغردُ لعودتِهم.. وزغردت أمُّ زهدي طويلاً طويلاً ولم يوقفها أحد..

الفصل الثاني عشر

بعيداً عن أرضِ الوطنِ، ظلَّ فاضل وزهدي وأحمد وستمائةِ سجينٍ آخرين يتابعونَ ما يجري على أرضِ الوطن.. كانوا يتابعونَ أخبارَ السُّجونِ والسجناءِ، ويدافعونَ عنهم في كلِّ

مكانٍ.. التقوا الصحفيين والمذيعين وجمعيتي الهلالِ والصليبِ الأحمر؛ وكانَ زهدي يتابعُ أخبارَ السُّجناءِ والأطفالِ ويدافعُ عنهم.. وعندما تزوَّجَ من أختِ أحدِ رفاقِه في السجنِ، ورزقَهُ اللّهُ بابنٍ، علَّمَهُ حبَّ الوطنِ، والحرية والعدالة والفن.. ورسمَ لهُ أحلى الرسمات.

بعيداً عن أرضِ الوطنِ ظلَّ زهدي وبقيةُ السجناءِ المحرَّرين يتابعونَ ما يجري على أرضِه.. لقد منعتهم السلطاتُ الإسرائيليةُ من دخولِ فلسطين.. ولكنَّهم رغمَ سعادتِهم بحريَّتهم إلاّ أنهم ظلّواُ يتابعونَ نضالَ إخوتِهم وأخواتِهم، ويذكرونَ رفاقَهم في سجونِ نابلس وأنصار ونفحة وعسقلان والفارعة، ولم يفقدوا يوماً آمالَهم أو أحلامَهم بحريةِ بلدهِم، لقد طالَ انتظارُهُم لها، ولكنها تحققت!!

أخذَ زهدي يتابعُ أخبارَ انسحابِ الجيشِ الإسرائيلي من غزةَ وأريحا ونابلس ورام الله وطولكرم .. شاهدَ على شاشةِ التلفازِ أحدَ خريجي السجنِ في نابلس، وقد أصبحَ

رئيساً لبلديَّتِها .. شاهدَ العشرات من رفاقِهِ « الكبار » في السجن، وقد عادوا إلى هذه المدنِ والقرى المحرَّرة.. قرأ أسماءَ العائدين، فوجدَ من بينهم فاضل وأحمد وعائشة.. ونزلت دموعُهُ ساخنةً على وجهِهِ عندما شاهدَ صوراً للسجن في مدينةِ نابلس وقد أُخلِيَ نهائياً ولم يبقَ به سجينٌ واحدٌ .. لقد تسلَّمَتْهُ بلديةُ نابلس..

رأى ابن زهدي الصغير الدموع في عينيٍّ والدِهِ وهو يقول.. لعلَّ الرفاقَ الآن يعيدونَهُ إلى مستشفى كما كان.. كم طالَ انتظاري لهذا اليوم.. سأذهبُ إلى نابلس وأعملُ في مسحِ أرضِ هذا المكان بدموعي وبيديَّ..

قالَ ابنهُ الصغير: وسأعودُ معك يا أبي لأكملَ مشوارَ النِّضالِ الذي بدأهُ جدّي وأكملتَهُ أنتَ؛ حتى تحريرِ باقي الأرضِ والسجونِ..

احتضن زهدي ابنَهُ واعتصرَ ضلوعَهُ، ومسَحَ دموعَهُ وابتسم.

- تمت -

من إحدى لوحات الفنان زهدي العدوي

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٨٦ / ١ / ١٩٩٦)

رقم التصنيف	:	٨١،٩٢٨٢
المؤلف ومن هو في حكمه	:	روضة الفرخ الهدهد
عنوان المصنف	:	السجين الفنان
رؤوس الموضوعات	:	١ - أدب الأطفال - قصص
	:	٢ -
رقم الإيداع	(	٨٦ / ١ / ١٩٩٦)
الملاحظات	:	

- تم إيداع بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

كتب صدرت للمؤلفة من سلسلة حكايات بطولية للأطفال :

١ – في أحراج يعبد – الشيخ عز الدين القسام
٢ – سر القنابل الموقوتة – أبو ابراهيم الكبير
٣ – قافلة الفداء – محمد حمد الحنيطي
٤ – الزمن الحزين في دير ياسين
٥ – رحلة النضال – حسن سلامة
٦ – منقذ القرية – إبراهيم أبو دية.
٧ – صائم في سجن عكا – فرحان السعدي
٨ – أسد فوق حيفا – فراس العجلوني
٩ – كفر قاسم والمحاكمة العادلة
١٠ – لغز الأطفال والبندقية – في مخيم الدهيشة
١١ – سر الشياطين الحمر – في البيرة
١٢ – يوم الأرض والقمح المشتعل
١٣ – قراصنة البحر وسناء محيدلي
١٤ – سر جبال أوراس – جميلة بوحيرد
١٥ – عرس الروح – الشاعر عبد الرحيم محمود
١٦ – ليلى وفرن الصمود – قصة الانتفاضة في نابلس
١٧ – معركة الضريبة وماكينة الخياطة – قصة الانتفاضة في بيت ساحور
١٨ – سر سكين عامر – قصة الانتفاضة في العبيدية
١٩ – الملثم وجريمة الأحد الأسود – قصة الانتفاضة في غزة
٢٠ – السجين الصغير
٢١ – رجال في الأغوار

كما صدر للمؤلفة من سلسلة حكايات الغول :

١ – ليلى والكنز
٢ – هل يكفي الحظ؟
٣ – مغامرات ريان

كما صدر للمؤلفة من سلسلة قصص الصحابة :

١ – أسد الله وسيد الشهداء حمزه بن عبد المطلب
٢ – صانع السيوف خباب بن الأرت

وقصة صراع في الغابة

وكتاب ثقافة الأطفال في الأردن

المؤلفة في سطور

- ولدت في مدينة يافا في فلسطين، ودرست في مدارس مدينة عمان، ثم نالت الثانوية العامة من مدينة رام الله في الضفة الغربية من الأردن.
- درست في كلية الصيدلة جامعة القاهرة، ثلاث سنواتٍ بنجاح، وانقطعت عن الدراسة بسبب حرب ١٩٦٧ حين احتلت اسرائيل الضفة الغربية حيث الأهل.
- حصلت على شهادة الليسانس في الحقوق عام ١٩٧٣ من جامعة بيروت العربية، ثم التحقت لدراسة الماجستير في الجامعة اللبنانية.
- بدأت الكتابة للأطفال عام ١٩٧٩ ولها اليوم خمسة وعشرون كتاباً للأطفال وبعض القصص المسلسلة، كما صدر لها كتاب ثقافة الأطفال في الأردن.
- عضو منتخب للهيئة الإدارية لرابطة الكتّاب الأردنيين.
- عضو تأسيسي وعضو الهيئة العمومية في المجلس العربي للتنمية والطفولة الذي يرأسه سمو الأمير طلال بن عبد العزيز.
- رئيسة جمعية أصدقاء الأطفال في الأردن.
- عضو الرابطة الوطنية لتربية وتعليم الأطفال. وعضو مؤازر في جمعيات خيرية ونوادي اجتماعية في عمان.
- عضو منتخب للهيئة الإدارية لاتحاد الجمعيات الخيرية محافظة العاصمة.
- ساهمت في تحرير مجلة الأطفال الأردنية «وسام»، الصادرة عن وزارة الثقافة والتراث القومي.
- عملت محررة مسؤولة عن ملحق الطفل الأسبوعي في جريدة الدستور الأردنية من عام ١٩٨٣ - ١٩٩٥م.
- تشارك في ندوات ومؤتمرات ومعارض كتب الأطفال على مستوى الوطن العربي.
- عضو في مؤسسة IBBY وهي المؤسسة الدولية لكتب الشباب والأطفال ومقر سكرتاريتها في سويسرا.
- نالت جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية عن كتابها «قافلة الفداء».
- نالت درع سلاح الجو الملكي الأردني عن كتابها «أسد فوق حيفا».
- متزوجة منذ عام ١٩٦٧ من المهندس حسام الدين طاهر الهدهد، ولها أربعة أبناء ذكور وبنت واحدة.